Al-Farouk journal of sciences
Volume (2), Issue (3) (JUNE, 2026)
ISSN: 3135-2359

مجلة الفاروق للعلوم
المجلد (2) العدد 3 يونيو 2026
ردمد: 3135-2359

مساهمات الجالية المغربية في الحياة الثقافية في مدينة القاهرة 1517-1798م

سليم رجب محمد الحجازي
أستاذ مشارك بقسم التاريخ – كلية الآداب جامعة عمر المختار البيضاء – ليبيا

Contributions of the Moroccan community to the cultural life of Cairo 1517-1798

Saleem Rajab Al-hijazi/ University of Omar Al-Mokhtar
https://orcid.org/0009-0003-8989-4521
saleemalhejazey@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2026/04/20 تاريخ المراجعة 05/20/ 2026 تاريخ القبول:2026/06/07- تاريخ النشر: 06/21/ 2026

ملخص:

لعب المهاجرون من المغاربة دوراً ثقافياً كبيراً مع إخوانهم المصريين في كافة المنشآت العلمية وقد ظهر واضحاً من خلال تواجدهم في الأزهر وتلقيهم للعلم فيه، حيث اعتبره المغاربة الجامعة التي حملت على عاتقها عبء التعليم إلى جانب حفاظها على التراث الإسلامي؛ من خلال تواجدهم في الكتاتيب والذي يعتبر من أقدم المؤسسات التعليمية أو من خلال المدارس الأخرى التي كانت منتشرة في القاهرة .

كلمات مفتاحية :مساهمات مغربية – الثقافة – مدينة القاهرة

Summary:

Moroccan immigrants played a significant cultural role alongside their Egyptian counterparts in all academic institutions. This was particularly evident in their presence at Al-Azhar University, where they received their education. Moroccans considered Al-Azhar the university that shouldered the burden of education while also preserving Islamic heritage. This was further demonstrated through their presence in the kuttabs (traditional Quranic schools), one of the oldest educational institutions, and in other schools that were widespread in Cairo.

Keywords: Moroccan contributions – Culture – Cairo

المقدمة:

لقد برز عدد كبير من العلماء المغاربة الذين تخرجوا من داخل هذه المنشأة على يد علماء مصريين وعاشوا برواق المغاربة بالجامع الأزهر وتمكنوا من اقتناء الكتب واستنساخها والحفاظ عليها ومن خلال الشرح والتأليف ودراسة مؤلفات إخوانهم المصريين وغيرهم، والعكوف على دراساتها واكبر دليل على هذا النشاط في مجال النسخ، أن كثيراً من المؤلفات التي كتبت في القاهرة وغيرها أو التي وجدت في مكتباتها في تلك الفترة، نسخت عن طريق علماء مغاربة أو نساخ محترفين من المغاربة.

وفي القرن السادس عشر وجد نساخ محترفون ينسخون الكتب بقصد بيعها، أو الانتفاع بها عن طريق الاتجار فيها، ومن هذا الطريق اخذ الكثير من المؤلفات سبيله إلى بلاد المغرب العربي كما تم النسخ للنسخ الوحيدة لكثير من المؤلفات العلمية

بعد أن اندثرت أصولها نتيجة للاضطرابات التي شهدتها البلاد في القرن الثامن عشر، كاشتداد الصراع بين البيوت المملوكية وخلال الغزو الفرنسي وفترة الاضطراب السياسي التي أعقبت خروج الحملة الفرنسية ولذلك فان بقاء نسخ من هذه المؤلفات ترجع إلى جهد هؤلاء المغاربة التي تشهد خطوطهم على قيامهم بهذا العمل الجليل[1]

ويبدوا أن المغاربة عرف عنهم حبهم للعلم فقد كانت تحدوهم رغبة صادقة في الالتقاء بالعلماء لربط السند العلمي بأسانيدهم ونيل إجازتهم، وحاجتهم إلى المعارف الجديدة والمذاهب الفقهية التي لم تكن معروفة عندهم، خاصة وأن معظم بلاد المغرب على المذهب المالكي، لذا افتقرت مدن المغرب علمياً إلى المذاهب الأخرى فأوفدوا أهل العلم النابغين من أبنائهم للتخصص في هذه المذاهب ونشرها في البلاد بعد عودتهم كالشيخ محمد كامل بن مصطفى[2] والشيخ حسين محمد النائب الأنصاري الذي تخصص في المذهب الحنفي[3]

والمتتبع لسلسة علماء المغاربة الذين ترد تراجمهم في كتب التراجم الخاصة بالقرن الثامن عشر ومن خلال وثائق المحاكم الشرعية الذين حلوا بمصر ودرسوا في مدارسها والعطاء العلمي الذي قدموه للحياة الثقافية في مصر والوطن العربي يدرك مكانة العلماء المغاربة في المجتمع المصري حيث نال العلماء الاحترام والتقدير من الفئتين اللتين يتكون منهما المجتمع في ذلك الوقت وهما طبقة الحكام من الأتراك والمماليك وطبقة المحكومين التي يتكون منها الشعب المصري، وأصبح العلماء يمثلون جسر الالتقاء بين الحكام والشعب في مصر. فمثلاً عندما جاء حسن باشا القبطان إلى مصر في عام 1786م للقضاء على حكم إبراهيم ومراد الثنائي، وبعد أن هرب إلى الصعيد عمل حسن باشا القبطان على بيع زوجات وأولاد أنصاره وأعوانهما وقد أثار هذا العمل غضب العلماء الذين رأو انه لا يتفق والشريعة الإسلامية التي لا تجيز ذلك، ولذا فقد ذهب كل من الشيخ الدردير والعروسي والسادات والحريري إلى حسن باشا القبطان واخبروه أن مثل هذا العمل لا يجوز وانه لا يحل له بيع الأحرار وأمهات الأولاد[4]

كما حرص التجار على الرجوع – شأنهم في ذلك شأن الحكام – إلى غطاء الشريعة الدينية ليبرروا تصرفاتهم ويمنعوا عنهم تعدي رجال السلطة وكان قربهم إلى العلماء واصطناعهم لأدوات يوفر لهم مثل هذا الغطاء، خاصة إذا لاحظنا أن المعاملات المالية في تلك الحقبة كانت تحدث من خلال أحكام الشريعة الإسلامية لاسيما وان المجتمع كانت فيه السلطة السياسية مقسمة إلى قوى متصارعة[5]. ولذلك نجد الكثير من التجار في مصر يسعون دائماً لإيجاد إطار مشترك من المصالح والأهداف المتبادلة مع العلماء وذلك عن طريق دفع أبنائهم إلى الدراسة والتعليم في الأزهر، ومن ثم أصبحت الكثير من العائلات المغاربة في مصر لديها ازدواجية العمل التجاري والعلمي[6].

ويؤكد الجبرتي ذلك عند ترجمته للشيخ محمد بن عبد الواحد البناني حيث يقول " أبوه وجده وعمه من أعيان التجار والثروة بمصر ، ثم يقول " وهو ابن عم الإمام العلامة الشيخ مصطفى بن محمد بن عبد الخالق " من أعيان المشاهير في مصر الآن "[7].

---

[1] محمد مسعود جبران، محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا، مركز الجهاد الليبي - طرابلس، ليبيا، 1996م، ص ص 43-48.

[2] الرحيم عبد الرحمن، المغاربة في مصر في العصر العثماني، (1517 – 1798) مطبعة الاتحاد العام للشغل، تونس، 1982م، ص 108.

[3] الطاهر احمد الزاوي، أعلام ليبيا، ج1، طرابلس، ليبيا 1961م، ص 155.

[4] عبدالله محمد عزباوي، المؤرخون والعلماء في مصر في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997 م، ص 206.

[5] يونان لبيب ومحمد مزين، تاريخ العلاقات المصرية المغربية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام 1912، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ص 20.

[6] القسمة العسكرية، س 176، م 104، بتاريخ 1208هـ - 1797 م.

[7] عبدالرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ج٢ ، مطبوعات مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ص ص ٧٢٧ ، ٧٢٨.

ويبدو أن سياسة العنف والقوة التي اتبعها المغاربة داخل الرواق في الأزهر خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر مرجعها إلى الدعم المالي الكبير الذي كان يحصل عليه العلماء المغاربة من إخوانهم التجار وتظهر مساندتهم لهم من خلال إغلاق دكاكينهم تضامناً معهم[8].

ومما زاد من تأثيرهم وقوة إندماجهم مع المصريين أن العلماء المغاربة لم يجعلوا من أنفسهم طبقة متميزة عن غيرهم ، بل شاركوا المجتمع همومه ومشاكله التي كان يعيشها ، واندمجوا في السراء والضراء ، بل أن كثيراً من العلماء المغاربة اتخذ مصراً موطناً ثانياً لهم وعاش بكل مقومات المجتمع المصري ، فالجبرتي يذكر لنا الشيخ محمد بن عبد الله بن احمد التونسي المتوفى سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧ م انه .. (عاشر اللطفاء والنجباء من أهل مصر وتخلق بأخلاقهم وتزيا بزي أولاد البلد وتحلى بذوقهم...)[9] وفي هذا دلالة كافية على مدى الاندماج والتأثير والتأثر الاجتماعي الذي أحدثه العلماء المغاربة.

أما طلبة العلم المغاربة فقد كان اختلاطهم بأساتذتهم وزملائهم من المصريين له أثاره البعيدة عليهم فقد تأثروا بالعادات والتقاليد المصرية ، واثروا فيها ، خاصة إذا رأينا بعض الطلاب طالت مدة إقامتهم بمصر ولم تعد إقامتهم قاصرة على طلب العلم ، بل اشتغل بعضهم بالتجارة التي زادت من قوة هذا الاندماج وورد أسماء عديدة لطلاب مغاربة في الوثائق استثمر بعضهم فائض أموالهم في شراء وبيع العقارات بمختلف أنواعها من حوانيت ووكالات وربوع وأراضي زراعية ، ليكونوا أكثر نشاطاً في هذا المجال، فمثلاً في ٢٨ شعبان سنة ١١٤٤هـ/ ١٧٣١ م اشترى احد طلاب المغاربة ويدعى الشريف على الطرابلسي أثنى عشر قيراطاً بالجامع الأزهر ليستثمره ودفع مبلغاً لصاحبه يقدر بخمسة وعشرين ديناراً ذهبياً[10].

وعندما يجد المغاربة فرصة للعمل في مصر غالباً ما كانوا يتزوجون في مصر ، فكانوا يركزون أولاً على العائلات المغربية المستقرة في مصر ليتزوجوا من إحدى بناتها ، وعلى

الرغم من فقر أغلب مجاوري الرواق إلا إن العائلات الثرية كانت تجد في مصاهرة هؤلاء العلماء فرصة جيدة من أجل الوجاهة الاجتماعية ، فنجد الشيخ ناجي بن علي يتزوج من فاطمة بنت يوسف المصري[11]، كما تزوج الشيخ محمد الشهير بالمختار ابن محمد المغربي، التلمساني من خديجة بن محمد شعلان التلمساني[12]، وكان من أعيان الفحامين في تلك الفترة.

وهكذا يتبين من علاقات الزواج بين المغاربة بعضهم البعض أو مصاهرة العائلات المصرية أو الزواج من بنات الأمراء أو المعتقات ، أو الزواج من الأسر التجارية متانة هذا التأثير وقوة اندماج الشريحة المثقفة من المغاربة في المجتمع المصري.

كما لعب المغاربة دوراً فاعلاً في المؤسسات التعليمية خلال القرن الثامن عشر ، والتي تمثلت في الزوايا والكتاتيب والمساجد وعلى الرغم من عدم وجود قواعد ثابتة في مصر خلال هذه الفترة في التدرج في السلم التعليمي ، فانه كان يوجد عرف متداول له قوة القانون في هذا الإطار ، حيث يبدأ الصبي دراسته بالزوايا والكتاتيب ثم يتدرج منه إلى الأزهر أو المساجد الكبيرة كالمسجد الأحمدي في طنطا أو المسجد الدسوقي بدسوق[13]

المبحث الأول : الزوايا والكتاتيب:

---

[8] يونان لبيب ومحمد مزين ، مرجع سابق ، ص ٢٠٧.
[9] عبد الرحمن الجبرتي ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٣٧٦.
[10] الباب العالي ، س ٢١٢ ، م ٥٢٤ ، بتاريخ ١١٤٤ هـ/ ١٧٣١م. ص ٢٤٠.
[11] محكمة الجامع الحاكم، س ٧٤٣ ، م ٧٨٢ بتاريخ ١٢٠٨ هـ/ ١٧٩٣ م . ص ٣٥٠ .
[12] محافظ الدشت ، س ٣٢٧ ، م ٥٦٥ بتاريخ ١٢٠٣ هـ/ ١٧٨٨م ص ٤٤٨ .
[13] عبد الله محمد عزباوي ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

تعتبر من مراكز التعليم الأولى وهي عبارة عن أبنية مجاورة للمسجد وملحقة به ، وتعد أماكن لطلاب العلم خاصة وللعبادة عامة وينفق عليها من ريع الأوقاف المخصصة للزوايا[14]، وقد اشتهرت تسمية الزوايا في الشمال الإفريقي ثم انتقلت إلى الحجاز ، وقد اختلف العلماء والمؤرخون في أصل هذه التسمية فبعضهم نسبها إلى العزلة والانزواء والانكفاء على الذات والبعد عن الناس باجتناب الاختلاط بهم إلا في حالات الضرورة القصوى ، في حين ذهب البعض الآخر إلى أن التفسير لمعنى الزوايا لا ينطبق بكل تفاصيله على وظائف الزاوية من نشر الإسلام وإعداده للجهاد، في سبيل الله والتعليم وتربية المريدين.

فالزاوية من وجهة هذا الفريق خلية نشطة في الدعوة إلى الله وهذا يستلزم مفهوم العزلة السلبي الذي يعنى عدم المشاركة في المجتمع بأي صورة كانت ، أي اقتصارها على النواحي الدينية فإن الزاوية تنسب إلى أقوى ضلع في المثلث وفي البناء، بمعنى إنها استعارة لمعنى القوة التي يمكن لروح الإسلام وعامة المجتمع أن تستند عليها وقت الحاجة للجهاد أو أداء رسالة التعليم والتربية للأجيال[15].

لقد تميزت الحركة العلمية خلال هذه الفترة بإحياء الزوايا القائمة أو بناء زوايا جديدة ، وهي أبنية بسيطة عبارة عن حجرة متسعة لا تحتاج إلى تكاليف كبيرة تكفي للالتفاف الطلبة حول شيوخهم لتحفيظ القرآن الكريم وترتيل الأوراد والأذكار وتلقي العلوم الدينية ، وهي ظاهرة فريدة بالاهتمام والعناية ، غير إن الزاوية كانت سرعان ما تخبوا إذا لم تقو على الاستمرار والنمو لتؤدي رسالتها في نشر العلم بعد وفاة شيخها لعدم تلقيها الدعم والمساندة.

وقد أطلق على هذه المراكز التعليمية في مصر اسم الزوايا الصوفية لأنها تجمع بين نشر الطريقة الصوفية التابعة لها وإقامة شعائرها المعروفة ومنها الزوايا التي تنسب إلى ولي وأنشئت حول ضريح فتكتسب سمعة طيبة من اجل ذلك ويكثر زوارها مما يزيد من إيراداتها.

وقد تنوعت الطرق الصوفية في مصر خلال القرن الثامن عشر ، وأصبحت ظاهرة التصوف أكثر بروزاً في الحياة الثقافية التي نشرها المغاربة في مصر.

فالكثير من المدن والقرى المصرية تحتفظ بالعديد من الأولياء والأضرحة التي ينتسب أصحابها إلى المغرب العربي ، ولعل خير مثال على ذلك ما قامت به الشاذلية في مصر خلال العصر العثماني ، حيث يعتبر الشيخ أبي الحسن الشاذلي المغربي من ابرز مؤسسي الطريقة الصوفية في مصر وتعود أصولها إلى بلدان المغرب مثل العيسوية والحامدية والوفائية وغيرها[16].

وقد عرفت مصر الزوايا التي يجتمع فيها الصوفية في حلقات تعرف باسم الحضرة حيث تقام ليلتي الاثنين والجمعة من كل أسبوع وفي المناسبات الدينية وعاشوراء والنصف من شعبان وقد اتبع هؤلاء الذاكرون تلاوة الأشعار والأرجال في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وجرت العادة عندهم باستعمال الدفوف المصاحبة لهذا الذكر ، وقد أشار الجبرتي إلى ذلك بقوله .." وتقف جماعة منهم يضربون بالدفوف يضعون أكتافهم في كتف بعض، لا يخرج واحد عن الآخر ويتلوون وينتصبون وينخفضون ويضربون الأرض بأرجلهم ، كل ذلك مع الحركة العنيفة والقوة الزائدة ، بحيث لا يقوم هذا المقام ألا كل من عرف بالقوة .."[17]

---

[14] ليلى عبد اللطيف ، المجتمع المصري في العصر العثماني ، ج١ دار الكتاب الجامعي، القاهرة ، ١٩٨٧ م. ص ١٨٧ .
[15] بدوي الجمل ، الزوايا في المجتمع العربي ، مجلة الضمير ، المجلد الأول العدد الأول (د.ت) ص ص ١٧ ، ١٨ .
[16] الإسكندرية الشرعية ، س ٤٨ ، م ٥٣٧ ، بتاريخ ١١٥٧ هـ/ ١٧٤٧ م ، ص ٤٣١.
[17] عبد الرحمن الجبرتي ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٤٧٦ .

وقد شهدت قرى ومدن مصر خلال القرن الثامن عشر انتشار الحركة الصوفية ويعتبر ذلك نتيجة لما تعرضت له البلاد من انتكاسات سياسية وحالة الفقر التي عاشها السكان إبان الصراع المملوكي العثماني ، والتي بدورها هيأت الدعوة لظهور مثل هذه الطرق التي أخذت في دعوتها إلى الزهد والابتعاد عن الدنيا.

غير أن هذا الرأي يجافي الحقيقة ، ذلك أن كل مؤسسي الطرق الصوفية في مصر هم من كانوا من العلماء الكبار المشاركين في العلوم المختلفة وبالتالي لا يمكن عزو أسباب انتشار الطرق الصوفية إلى التخلف الفكري وحالة الفقر السائدة، لاسيما وان الارتباط كان وثيقاً عند العلماء بين الفقه والتصوف خاصة عند علماء المالكية استناداً إلى قول الأمام مالك ابن انس رضي الله عنه ... " من تصوف ولم يتفقه فقد تزوق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تقسم ومن جمع بينهما فقد تحقق.."[18]

وهكذا أسهم المغاربة في نشر العديد من الطرق الصوفية في مصر وقد أشاع المغاربة عن الزبيدي العالم اليمني الشهير مؤلف " تاج العروس في شرح القاموس" انه إذا قدم احد هؤلاء المغاربة إلى مصر حاجاً ولم يصله بشيء لا يعتبر حجه كاملاً"[19]

وفي القاهرة عدد من الزوايا والمساجد التي بناها المغاربة وقامت برسالتها في تلك الفترة وهي تحتفظ ببنائها كما شيدها أصحابها ومنها زاوية المغاربة في الإسكندرية المعروفة بالمحرس التي أنشأها محمد بن صالح المغربي وأوقف عليها الأوقاف لاستقبال الحجاج المغاربة وإقامة الشعائر الإسلامية ونشر العلم ورتب لها أماماً ونقيباً وناظراً على الوقوف، وجامع تربانه الذي أقامه الحاج إبراهيم تربانه المغربي سنة ١٠١٧ هـ/ ١٦٨٥ ، ومسجد الشيخ عبد اللطيف المغربي وقد شيده سنة ١١٧٠ هـ/ ١٧٥٦ ، ومسجد قاسم الشرايبي بمنطقة الرويعي[20].

وفي القاهرة أيضاً أسهم المغاربة خاصة فئة التجار منهم في إنشاء المساجد والكتاتيب ورصد المبالغ المالية لكل كبيرة وصغيرة وذلك لاستمرارها ولتحمل أسمائهم وتخلد ذكراهم [21]

وتعطي لهم الوجاهة الاجتماعية في أنحاء المدينة ، فمثلاً نجد الخواجا إبراهيم عبيد تربانه يخصص اثنين وثلاثين منشأة تجارية على نفسه وذريته ومسجده وخصص لكل العاملين بالمسجد رواتب نقدية ومبالغ أخرى لاحتياجات المسجد[22] وفي القاهرة نجد الخواجا قاسم الشرايبي شاهبندر تجار مصر حرص على إنشاء مسجده بالأزبكية والحق به سبيل وكتاب وأنشأ فوق ميضأته ربعاً وأوقف إيراداه على المسجد[23] بالإضافة إلى زاوية جميع في الإسكندرية وغيرها من الزوايا والمساجد التي أنشأها المغاربة[24]. والتي كان الهدف منها التقرب إلى الله والعطف على الطبقات الدنيا في المجتمع ، حيث تساعدهم مثل هذه الأعمال الخيرية في دعم البنية الحياتية للمجتمع داخل الأحياء ، فقد كانت هذه الزوايا والمساجد تقدم خدمات متعددة لسكان هذه المناطق ، فمثلاً في حجة وقف الخواجا عبد الرحمن أحمد الفاسي قام بإنشاء مسجد في أهم مناطق القاهرة وأكثرها

---

[18] إبراهيم محمد عثمان عبده، الجوهر المكنون في الرد على من ظن بالصوفية الظنون، ضمن أعمال ملتقى التصوف العالمي الإسلامي، طرابلس ١٩٩٥، مطبوعات جمعية الدعوة الإسلامية ج١، طرابلس – ليبيا ١٩٩٧، ٢ ص ١٨٢.

[19] توفيق الطويل، التصوف في مصر إبان العهد العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٨، ص ١٢١.

[20] سامح إبراهيم، العلاقات الثقافية بين مصر وطرابلس، الروزنامة، الحولية المصرية للوثائق، دار الكتب المصرية، العدد الثالث، ٢٠٠٥م، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٦ م، ص ٢٢٣.

[21] احمد شلبي عبد الغني، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء ابن شات الملقب بالتاريخ العيني، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٨، ص ٥٨٦.

[22] عوض عوض الأمام، مسجد الحاج إبراهيم تربانه بالإسكندرية، مجلة كلية الآداب بسوهاج، جامعة جنوب الوادي، العدد ١٥، ١٩٩٤م، ص ٢٩٨.

[23] محمد عبد الحفيظ، دور الجاليات الأجنبية والعربية في الحياة الفنية في مصر في القرنين الثامن والتاسع عشر – دراسة اثرية حضارية وثائقية، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠ م، ص ٢٣٩.

[24] الإسكندرية الشرعية، س ٣٧ م، ٣٦٨ بتاريخ ١١٢٠هـ/ ١٧١١م ص ١٠٦.

ازدحاماً بالسكان في حي البندقيين ، حيث قام بشراء أربعة أماكن خصص فيها مسجداً بجواره دارين للإنفاق من إيجارهما على هذا المسجد[25].

أما الكيفية التي يتم التعليم فيها داخل الزوايا والكتاتيب وهي أن يكلف الفقيه " المؤدب " كل طفل بعمل ما فهذا يحفظ ما درسه وذلك يكتب في لوحة وثالث يعمل غير ذلك ، وهكذا حتى إذا ما أتم كل منهم عمله توجه للفقيه يسمعه ما حفظه ويعرض عليه ماكتب ثم يكلفه الفقيه بعمل آخر ، وهكذا يعطي لكل طفل دوره فترى الفصل في نشاط دائم[26].

ويبدو أن الدراسة في الزوايا والكتاتيب لم تكن دراسة موضوعات محددة في مناهج موضوعة، بل كانت دراسة كتب غير محددة لمدة دراسية أيضاً، وكان الاعتماد كله على الفقيه في المنهج أو طريقة البحث فأساس التعليم كان الشيخ والكتاب، وقد بلغ حرص المغاربة وشدة حبهم للزوايا بأن يدفنون فيها عند موتهم ، وخير مثال على ذلك حينما دفن الصوفي الشيخ عبد السلام بن مشيش الحسني وهو أحد أقطاب التصوف في المغرب العربي بعد أن أصيب بوباء الطاعون في زاوية العربي بالفحامين، وبعدها دفن ابنه أحمد إلى جانب والده في نفس الزاوية.

على أن حياة الصوفية ودورهم داخل الزوايا لم يلبث أن تغير أواخر القرن الثامن عشر نتيجة دخول كثير من الدخلاء عليها وفقدان الدعم المالي لها[27].

المبحث الثاني– المدارس العلمية

وجدت المدارس في القاهرة خلال فترة الدراسة وكان الغرض منها إيجاد مؤسسة تقوم بتدريس ما يحتاج إليه المسلمون من علوم الدين والدنيا[28]. وقد برزت المدارس التي كانت تنشأ بالجهود الذاتية من قبل ميسوري الحال الذين كانوا يأنفون من مخالطة أبنائهم بأبناء العامة فأقاموا المدارس العلمية في المدن وأحضروا لها مدرسين من الأزهر ، وكان إنجذاب الطلبة إلى أية مدرسة عليا يتوقف على عاملين هامين وهما مدى ما يقدمه هذا الجامع أو المدرسة العليا من غذاء وملابس للطلبة والشهرة العلمية التي يتمتع بها من حيث الشهرة المدرسية والمكانة العلمية ولهذا فإن الجامع الأزهر كان أكثر هذه الجوامع ازدحاماً في مصر خلال القرن الثامن عشر للطلبة لتوافر هذين العاملين به ، فقد كانت هناك أوقاف كثيرة خصصت للصرف على طلبته وأساتذته، كما كان يوجد به عدد كبير من المدرسين الذائعي الصيت والشهرة .

ونتيجة للشهرة العلمية التي تمتع بها الأزهر ، أصبحت مدارس القاهرة بمثابة فروع له على الرغم من انه كان لهذه المساجد والمدارس أوقافها الخاصة ألا إن القاعدة كانت أن وظائف التدريس بها يتولاها شيوخ من الأزهر .

---

[25] القسمة العسكرية س ١٩٦، م ١١١ بتاريخ ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م، ص ١٠٣.
[26] عبد الله محمد عزباوي، المرجع السابق، ص ١٨.
[27] ليلى عبد اللطيف ، مرجع سابق ، ص ١٨٨ .
[28] أحمد عزت عبد الكريم تاريخ التعليم في عصر محمد علي ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، ص ٨٧ .

وكانت من أهم المدارس التابعة للأزهر في القاهرة خلال القرن الثامن عشر المدرسة الصرغتمشية[29]. حيث يبرز فيها الشيخ محمد بن حسن الجزايولي وهو من العلماء المغاربة البارزين خلال هذه الفترة حيث منحه الشيخ حسن المقدسي تدريس الحديث بها ، فكان يقرأ البخاري كل جمعة حتى توفى في عام ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣ م[30]. ، والمدرسة المحمودية[31]. والمدرسة الجوهرية[32].

وكذلك المدرسة الصالحية[33]. والاقبغاوية[34]. والمدرسة السنانية بالصنادقية[35]. ومدرسة السيوفية[36]. التي أسسها الأمير عبد الرحمن كتخدا وصار اسمها الشيخ مطهر ومن هذه المدارس التابعة للأزهر المدرسة الخشابية[37].

ومن المدارس التي تعتبر ملحقة بالأزهر أيضاً مدرسة محمد بك أبو الذهب التي أنشأها تجاه الجامع الأزهر في عام ١١٨٨هـ/١٧٧٠م، والتي جعل لها أماكن لجلوس أهل الإفادة والإفتاء على المذاهب الثلاثة المالكية والحنفية والشافعية، أو بجلسة فيها حصة من النهار لإفادة الناس بعد إملاء الدروس فيها، فمثلاً برز فيها من العلماء المغاربة الشيخ احمد الدردير مفتي المالكية المتوفى عام ١٢٠١هـ / ١٧٨٧م[38]، كما برز الشيخ أبو العباس المغربي الذي تنازل له السيد عمر مكرم الأسيوطي نقيب الأشراف عن التدريس في المدرسة الجوهرية[39].

كما برز الشيخ أبي الحسن المغربي المالكي في مدرسة مصطفى باشا حيث ألقى بها دروساً وداوم على قراءة سورة ياسين كل جمعة[40]، بالإضافة إلى هذه المدارس والمساجد التي برز فيها دور المغاربة في القاهرة والتابعة للأزهر فقد كانت توجد بمصر ثمان عشرة أو عشرون مدينة من المدن الكبرى بها مدارس للتعليم ويختلف عددها من مدينة لأخرى، وكان المدرسون العاملين في هذه المدارس عادة شيوخاً تلقوا تعليمهم في الأزهر وقد أمدت هذه المدارس الأزهر بغالبية طلبته[41]، ومن هذه المدارس في الوجه البحري مدارس طنطا التي كان أهمها مسجد السيد أحمد بدوي وقد اشتهر بتعليم القرآن على عكس الأزهر الذي اشتهر بعلوم الفقه، ولذا كان يقال في المثل "ما قرآن إلا أحمدي ولا علم إلا أزهري"[42].

كل هذه المدارس قامت بحركة فكرية كبيرة في مصر خلال القرن الثامن عشر ولم تكن مقصورة على علماء مصريين فقط، بل شارك فيها علماء مغاربة كان لهم دورهم العلمي في تلك المناطق ومنهم الشيخ إبراهيم تربانة المغربي والشيخ إبراهيم التاجوري المالكي الذي تزوج من أخت أحد كبار التجار في الإسكندرية وأصبح وكيلاً لوجاهة طرابلس سنة ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م.

ومن العلماء المغاربة في العلامة محمد فارس التونسي وهو من أكابر الصوفية توفى بالقاهرة سنة ١١١٤هـ/ ١٧٠٢م. كما نجد الشيخ مسعود الطرابلسي الذي درس صحيح البخاري في أغلب أوقاف مصر وورث الوصية بشأنها في سنة ١٢١٤هـ/

---

29 المدرسة الصرغتمشية : أنشأها الأمير سيف الدين صرغتمش في عام ٧٥٧ هـ/ ١٣٥٤م. انظر على مبارك، الخطط التوفيقية ج٢ ، ص ١٢.

30 عبدالرحيم عبد الرحمن ، المغاربة ، مرجع سابق ، ص ١٠٤ .

31 المدرسة المحمودية ، أنشأها الأمير جمال الدين محمد الاستادار في عام ٧٩٧هـ / ١٣٩٤م . انظر على مبارك ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٠٤ .

32 الجوهرية ، أنشأها الأمير القتبقائي الجركسي ، المتوفى ٨٠٤هـ / ١٤٤٠ م ، انظر على مبارك ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٩١ .

33 الصالحية: بناها الملك السلطان نجم الدين أيوب سنة ٦٣١ هـ، انظر تقي الدين أحمد المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة، ١٢١٥هـ، ج٣، ص ٣٣٣.

34 الاقبغاوية: أنشأها الأمير أقبغى عبد الرحمن، انظر على مبارك، مصدر سابق، ج٢، ص ٩١.

35 السنانية: أنشأها الأمير كوساسنان في عام ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م، نفس المصدر، ج٢، ص ٢٣.

36 السيوفية: أنشأها صلاح الدين الأيوبي وجعلها وقفاً على الحنفية، نفس المصدر، ج٢، ص ٢.

37 سجلات الباب العالي، س ١٨٩ م ١٣٨٣ م بتاريخ ١١١٦ هـ / ١٧٠٤ م، ص ٣٢٩.

38 محمد عبد الله عزباوي، مرجع سابق، ص ٢٦.

39 حسام محمد عبد المعطي، رواق المغاربة، مجلة الروزنامة، دار الكتب والوثائق، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ١٨١.

40 سجلات تقارير النظر، س ٩، م ٧٤٢ بتاريخ ١١٧٧ هـ / ١٧٦٣ م، ص ١٠٥.

41 نفس المصدر، س ٩، م ٧٤٤ بتاريخ ١١٧٧ هـ / ١٧٦٣ م، ص ١٠٥.

42 افناطيكيوس كراتسكوفسكي، حياة الشيخ محمد عبد الطنطاوي (د.ت)، ص ٢٤.

١٧٩٩م ومعنى ذلك انه تخرج على يديه كثير من طلبة العلم في مختلف مناطق مصر واعترافاً بفضله نجد الشيخ حسن العطار يمتدحه بقصيدة نذكر منها قوله :

انهض فقد ولت جيوش الظلام وأقبل الصبح سفر اللثام

بشراك مولانا على منصب كان له فيك فريد الهيام

وأفاك إقبال بدا دائماً وعشت مسعوداً بطول الدوام

فقد رأينا فيك ما نرتجي لا زلت فينا سالماً والسلام[43].

وواضح من هذه القصيدة ما بلغه الطرابلسي من العلوم والمعارف والتي جعلت شيخ الأزهر يعترف له بذلك من خلال هذه الأبيات.

المبحث الثالث: رواق المغاربة في الأزهر :

الفكرة العامة من وراء إنشاء نظام الأروقة. في الأزهر هي تذليل العقبات المالية أمام الراغبين في طلب العلم من ناحية، وعدم إشعار الدارسين أنهم يعيشون في جو غريب عنهم وهم يقضون سنوات طوال من أعمارهم في تحصيل العلم في الأزهر بعيدين عن أوطانهم وعن العادات والتقاليد التي ألفوها من ناحية أخرى[44]، وانطلاقاً من هذه الفكرة كان للوافدين من كل قطر من أقطار العالم الإسلامي رواق خاص بهم، كما كان للمصريين أروقة خاصة بأبناء كل إقليم[45].

أما عن نشأة الرواق وتخصيصه للمغاربة، فقد ارتبطت مصر بالمغرب منذ أقدم العصور، فمن مصر بدأت الفتوحات الإسلامية إلى بلاد المغرب، وقد بدأ الحضور المغربي يظهر على الساحة بكثرة في أعقاب قدوم عدد كبير منهم في صحبة الخليفة المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣ م، وقد اختار لهم الخليفة مكاناً يسكنون فيه بعيداً عن الأهالي بعد أن قام هؤلاء بإخراج المصريين من ديارهم في منطقة القرافة فأمرهم الخليفة بالسكن في عين شمس، ومع مضي الزمن سكن أكثرهم القاهرة مخالطين للمصريين[46].

ويقع رواق المغاربة بالجانب الغربي من صحن الجامع الأزهر، حيث كان مجاوراً لرواق الأتراك والسناوية (أهل سنار بالسودان) وقد تكون من خمسة عشر بائكة قائمة على أعمدة من الرخام الأبيض، وقد بلغت مساحته ٢٤٠ متراً، وبداخل الرواق باب على الجدار الغربي ينفذ إلى مساكن علوية، كانت تؤوي فقراء الطلبة المغاربة إضافة إلى كتبخانة الرواق، وكان اغلب الطلبة الوافدين من بلدان المغرب للتعليم في الأزهر يأتون وقد تجاوز كل منهم العشرين عاماً، بعد ان حصلوا على قسط وافر من العلم في بلادهم، أما إذا كانوا صغاراً في السن او لم ينالوا قدراً كافياً من التعليم، فقد كانوا يكملون تعليمهم في مسجد طولون، ثم يلتحقون بالرواق بعد إتمام تعليمهم وختمهم للقرآن الكريم[47].

---

[43] الشيخ حسن العطار : ولد بالقاهرة سنة ١١١٠هـ / ١٧٧٦ م، واصله من المغرب، تولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٣٠م، انظر كتاب الهلال، قصة الأزهر، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٨٥ .

[44] رواق: بكسر الراء، وفتح الواو، وتجمع أروقة وروف بضم الراء وترو في صيغة الجمع رواثات /، والمعنى المعماري للرواق هو مكان في الجامع محصور بين صفين من البوائك انظر عبد العزيز محمد الشناوي، الأزهر جامع وجامعة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٨٣ القاهرة، ج ١، ص ٢٤ .

[45] عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق، ص ٢٤٣ .

[46] شهاب الدين احمد النويري، نهاية الارب في فنون الأدب تحقيق، محمد أمين ومحمد حلمي، ج ٢٨، القاهرة ١٩٩٢ م، ص ص 109-150.

[47] حسام محمد عبدالمعطي، المرجع السابق، ص 170.

أما الدراسة داخل الرواق فقد بنيت على أسس إدارية ولم تترك بدون رقابة، وكان على رأسها وفي مقدمتها شيخ الرواق، ولم تكن مشيخة الرواق فترة الدراسة بالأمر الهين أو اليسير بل وضعت ضوابط لمن يستحقها، حيث يعقد اتفاق داخلي بين أعيان مجاوري الرواق كافة ويحضره علماء المذاهب الأربعة في الجامع الأزهر ثم يرجحون احدهم لمشيخة الرواق أو عزله إذا اقتضت الضرورة بذلك، ويرفع قرارهم إلى قاضي قضاة مصر – شيخ الإسلام – وبدوره يرفع هذه الرغبة إلى السلطان العثماني والذي يأتي قراره موافقاً لما اجمع عليه الرواق وأيده علماء المذاهب الأربعة في الأزهر[48].

أما عن إيرادات الرواق المغربي، فقد كان الرواق المغربي بالجامع الأزهر أكثر أروقة الأزهر ثراءاً، بسبب الأوقاف الكبيرة والعديدة التي حرص التجار المغاربة على وقفها، خاصة خلال القرن الثامن عشر، فإلى جانب ما تم تخصيصه للرواق المغربي من أوقاف الجامع الأزهر سواءاً من الرواتب النقدية أو الرواتب العينية، فقد رصد الخواجا قاسم بن محمد ديلون الأندلسي مبلغ ٥٨٢٠٠ بارة من تركته لرواق المغاربة، أما الخواجا محمد بن حسن العشوبي فقد ترك وصية مفادها أن يدفع من تركته لرواق المغاربة مبلغ ١٢٠٠٠ بارة لشراء عقار يوقف على رواق المغاربة بالأزهر والحاج محمد بن شعلان التلمساني التاجر بالفحامين رصد مبلغاً قدره ٨١٠٠ بارة وصية لطلاب الرواق و ٥٠٠ بارة أخرى لشيخ الرواق، وخصص مبلغ ٣٠٠٠ بارة لشراء كتب ووقفها على طلاب الرواق كما أوصى عدد كبير من التجار المغاربة بان تؤول أوقافهم بعد انقراض ذريتهم إلى رواق المغاربة بالأزهر.

بالإضافة إلى دور الشيوخ من آل الشرايبي وأسرة عبد الرحمن البنان والسفاقسي وسالم مسعود الطرابلسي والشيخ محمد بن أبي بكر الأثرم ومشاركتهم الكبيرة لصالح أوقاف رواق المغاربة، فمثلا نجد الشيخ الأثرم المصراتي ينتقل بين القاهرة والإسكندرية ويتاجر بالأغنام التي تجلب له من وادي برقة، ويشاركه عليها مشايخ أولاد علي وغيرهم، وتوسعت تجارته وزادت شهرته، حيث مكث في الإسكندرية ثلاث سنوات، ثم عاد إلى القاهرة بعد أن رأى نفسه انغمس في ملذات الدنيا فاثر الرجوع إلى القاهرة، ليجيء بين علمائها لهذا باعه التي في الإسكندرية[49]

فضلاً عن العقارات والأوقاف التي حبسها التجار والأثرياء المغاربة في القاهرة والمدن المصرية الأخرى لينفق من ريعها على طلاب الرواق، فقد سجلت الوثائق الكثير من هذه الأوقاف على رواق المغاربة داخل المدن المصرية وكان شرط الواقف ان يكون الصرف على طلبة العلم المالكية المجاورين من رواق المغاربة بالجامع الأزهر، وكان شيخ الرواق يعين غالباً ناظراً على هذه الأوقاف، ويتولى النظر فيها والصرف من مصاريفها، فإن قصر في شيء من ذلك تقدم المجاورين المغاربة بتقرير إلى وزير مصر بعزله وتولية غيره، فكان لهذه الكفالة المالية من التجار المغاربة للطلاب والعلماء دور في تفرد هؤلاء للاستمرار في العطاء العلمي وهكذا يظهر دور المغاربة في الأزهر خاصة ومصر كجزء أساسي من الترابط العربي بين مصر والبلدان المغربية، كما أصبح رواق المغاربة المرجع والحجة الأساسية في تطور الفقه المالكي وإعادة نشره في المغرب العربي[50]

المبحث الرابع – العلماء في القاهرة – نشاطهم ومناصبهم العلمية.:

من المعروف في مجتمع يعيش على الوازع الديني أن يصبح العلماء هم الجسر الذي يربطهم ببقية فئات المجتمع خاصة حملة القرآن الكريم منهم والفقهاء، كل هذه الأمور لها قيمتها في مجتمع يحترم الدين ويجل رجاله وحيث ضم الرواق المغربي

---

48 سجلات تقارير النظر، س ٢، م ١٢٠١ بتاريخ ١١٤٢ هـ / ١٧٢٩ م. ص ١٠٨.

49 سجلات تقارير النظر، س ٢، م ١٢٠١، ١١٤٢ هـ/ ١٧٢٩ م، ص ١٠٨.

50 حسام محمد عبد المعطي، مرجع سابق، ص ١٩٧.

كوكبة من العلماء المغاربة الذين كان لهم دور علمي وإداري في مصر إبان القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي وقد نالوا المقام الرفيع حتى تم الفصل بين المهمة الإدارية والمهمة العلمية ، وقد تولى عدد من العلماء المغاربة الوظائف الإدارية ، ومع ذلك لم يتم إقصائهم عن إلقاء دروسهم في الأزهر ومن أهم المناصب العلمية التي تولاها المغاربة هي مشيخة الرواق المغربي ، حيث فترة الدراسة تعاقب أربعة وعشرون شيخاً على هذا المنصب خلال القرن الثامن عشر ومنهم من شغلها مرة واحدة وبعضهم مرتين والبعض الآخر أربع مرات .

والواقع أن مرد عدم الثبات لشخص معين في مشيخة الرواق إلى الصراع الدائم بين شيخ الرواق والمجاورين لتجديد صلاحيات الشيخ ودوره الإداري في تسيير الأوقاف الخاصة بالرواق فمثلاً في سنة ١١٤٢هـ/١٧٣٠م اجتمع طلاب الرواق، وتقدم والي مصر عبد الله باشا بطلب عزل شيخهم عبد السلام بن محمد، ورغم الوساطة وتدخل كبار أمراء مصر وعلى رأسهم الأمير عثمان كتخدا القازدغلي والأمير يوسف كتخدا البركاوي وكبار علماء الأزهر ، فلم يوافق المجاورون على عودة الشيخ عبد السلام لمشيخة الرواق إلا بعد أن اشترطوا عليه الشروط التي قيدت من سلطته عليهم[51]. وهي ألا يتصرف في أمر من أمور المجاورين إلا بمعرفة أعيان الرواق ورضاهم وإذا لم يقم باستشارتهم أعتبر تصرفه باطلاً . وأن لا يقوم بطرد أحد من الرواق وأن لا يقطع معلوم أحد من أهل الرواق وأن يصلح بين أهل الرواق بالمعروف وأن يعاقب كل من يرتكب ذنباً من المجاورين بالرواق بعقوبة يتفق عليها مع أهل الرواق وحضور كبار المشايخ[52].

وتجدر الإشارة إلى أن علاقة شيخ الرواق بشيخ الأزهر كانت تربطها قواعد ثابتة حيث ظل شيخ الأزهر مشرفاً عاماً من الناحية الأدبية على ما يجري داخل الرواق بيد أن شيخ الرواق تمتع بسلطة واسعة على كافة المغاربة وكان يعاونه عدد من الموظفين منهم النقيب الذي ينوب عن الشيخ في حالة تغيبه لعذر ما كمرض أو سفر خارج القاهرة ومن ثم يأتي الجابي وهو الذي يقوم بتحصيل الأوقاف المحبوسة على الرواق ويساعده الكاتب الذي يكتب إيرادات الأوقاف وينظم الحسابات الخاصة بعمليات تأجير الأوقاف وكتابة أسماء طلاب الرواق والأموال المخصصة لهم[53].

بالإضافة إلى ذلك فقد اشتغل المغاربة بعدد من المناصب الأخرى حيث اشتغل عبد الرحمن المغربي الطرابلسي في وظيفة ناظر بخط طولون ومنطقة بئر الوطاويط نائباً عن شخص آخر في طرابلس تعذر حضوره للقاهرة[54]، كما تم تعيين محمد المغربي الجازولي في وظيفة ناظر على إحدى الزوايا بحارة الشباسي ببولاق بعد وفاة الذي كان متولياً لهذه الوظيفة قبله[55]، كما نجد الشيخ شهاب الدين احمد المغربي يتولى منصب القاضي العسكري بمصر والخطبة بمسجد عمرو بن العاص وهو مسجد له شهرته الواسعة في تلك الفترة[56]، كما نجد الشيخ أبي الحسن المغربي المالكي يسند إليه عدد من الأعمال الإدارية في سنة ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م ويقوم بوظيفة نصف شادية ونصف شهادة[57]. وقراءة سورة تبارك بعد العشاء وآيات من سورة الكرسي وثلث نوبة أذان وسدس إملاء فقه وسدس تقرية وربع القناطر وقيراطين من تأديب الأطفال كل ذلك يقوم به في وقف سيدي على الجنيد بمسجد خط القناطر السباع وسدس إملاء فقه بوقف علي باشا[58]. كل هذه المناصب تدل على مدى الاستيعاب الذهني لهذا الرجل.

---

[51] سجلات تقارير النظر، س ٢، م ١٢٠١ بتاريخ ١١٤٢هـ/ ١٧٣٠ م ص ١٠٨ .

[52] عبد الرحيم عبد الرحمن، وثائق عن دور المغاربة في مصر من خلال المحاكم الشرعية، المجلة التاريخية المغربية، العدد ١٠، ص ١٠٣١.

[53] حسام محمد عبد المعطي، مرجع سابق، ص ١٨٤.

[54] سجلات تقارير النظر، س ٧، ميكروفيلم ١، بتاريخ ١١٦٥ هـ، ١٧٥٦ م، ص ٩٠. انظر ملحق ١.

[55] نفس المصدر، س ١١، ميكروفيلم ٢، مادة ٧٦، بتاريخ ١١٤٤هـ/ ١٧٣٢ م، ص ١٠، انظر ملحق ٢

[56] محكمة الباب العالي، س ١٨٤، ٢٦٨٥ بتاريخ ١١١٤ هـ/ ١٧٠٢ م، ص ١٣٦.

[57] للمزيد حول وظائف الشادية والشاهد ونصف وظيفة انظر محمد عفيفي، الأوقاف والحياة الاقتصادية.

[58] سجلات تقارير النظر، س ١١، م ١٠٧٢، بتاريخ ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م، ١٥٧.

وهناك أيضاً الشيخ محمد بن عمر العمامي المغربي الذي تولى القضاء والتدريس لعدد من الطلاب لفقه الشافعي بالمدرسة الخشابية، كما تطالعنا المصادر عن مهمة النظارة التي كانت بمثابة الإشراف العام على الأوقاف وقد أسندت إلى علماء مغاربة منهم الشيخ حسين الدين بن خليل المغربي وهو من كبار المدرسين بالرواق حيث يشار إليه بـ" الشيخ الفقيه المحدث المحقق "[59]. فقد تولى النظارة على أوقاف الصالحية ووقف الظاهر أبا سعيد قانصوه ووقف بيبرس[60].

ومما كان له أبعد الأثر في العلم واشتهر بين الناس بفصاحة اللسان وقدرته اللغوية الشيخ محمد المغربي المالكي[61]. الذي صدر له قاضي القضاة بالجامع الأزهر تعييناً بالتدريس والإفتاء في الإسكندرية ، وبيده وثيقة مسطرة من الباب العالي بذلك واقره علماء الثغر كمفتياً لهم بعد أن ثبتت لهم أهليته خاصة في الفقه المالكي في أوائل ربيع الثاني ١١٨٢هـ/أغسطس ١٧٦٧ م[62].

وهكذا تقلد المغاربة المناصب المختلفة من قضاء وتدريس ونظارة وغيرها ووصلوا إلى مناصب التدريس في الأزهر ومدارس القاهرة المتعددة كما تقلدوا خلال القرن الثامن عشر منصب مفتي المالكية بالديار المصرية مثل الشيخ محمد الأمير والشيخ محمد عليش[63] بل إن منهم من وصل لاحقاً إلى رئاسة مشايخ الأزهر مثل الشيخ حسن العطار.

ومن خلال ذلك يمكننا إدراك حقيقة مهمة وهي أن مصر وما تحتويه من مقدمات حضارية لم تفرق بينهم وبين إخوانهم في العقيدة وفي الوطن وعاش هؤلاء العلماء في مصر واتخذوا منها داراً ومقاماً.

كما شهدت القاهرة والإسكندرية أفواجاً من العلماء المغاربة الذين حرصوا على الاتصال بأقرانهم في الأزهر وإلقاء الدروس لبعض الوقت في الرواق المغربي ، حيث كان يجري تعريف طلاب الرواق بآخر التطورات المعرفية والفقهية في بلدان المغرب وعلى سبيل المثال الشيخ محمد بن طالب بن سودة التاودي عند حجه في عام ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨ م قام بشرح كتابه شرح التاودي على الجامع للشيخ خليل بن محمد المغربي كما عقد عقب عودته من الحج درساً حافلاً برواق المغاربة وحضر دروسه اغلب علماء الأزهر كما شرح الشيخ احمد بن علي المنجور كتابه " شرح المنهج المنتخب في قواعد المذهب المشهور بقواعد الزقاق[64]..

ومن أهم العلماء المغاربة الذين وردت أسمائهم في كتب التراجم والمصادر المعاصرة خلال القرن الثامن عشر :

١- الشيخ أبو عبد الله محمد : وهو الفقيه المسند الصوفي أبو عبد الله محمد بن العباس الجزولي السوسي الفاسي داراً ومقاماً ، وهو احد المغاربة الذين حصلوا على الإجازة في الطريقة الخلوتية وللشيخ كتب نفيسة ومن أهمها كتاب مسماه المواهب القدسية في أسانيد بعض المشايخ الصوفية مع بعض كتب السيرة النبوية[65].

٢ – الشيخ على السقاط، ولد بفاس وقرأ على والده ثم رحل إلى مصر مع شيخه محمد بن عبد السلام البناني ولازمه وقرأ عليه بالجامع الأزهر وأجازه الأخير في عام ١١٤٣هـ/ ١٧٣١م وتتلمذ السقاط على أيدي علماء مصريين منهم الشيخ احمد

---

[59] عبد الرحمن الجبرتي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٨٦.
[60] القسمة العسكرية، س ١٧٥، م ٧٧، بتاريخ ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م، ص ص ٥٥ ــ ٥٧.
[61] سجلات تقارير النظر ، س ٢ م ١٥٥ ، بتاريخ ١١٨٢هـ / ١٧٦٧م . ص ٢٢ .
[62] الاسكندرية الشرعية ، س ٩٠ ، م ٣٧٤ ، بتاريخ ١١٨٢هـ/ ١٧٦٧م ، (د.ص)
[63] حسام محمد عبد المعطي ، مرجع سابق ، ص ١٩٥ .
[64] عبد الحي عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، مطبعة الطالعة الجديدة، فاس ١٣٤٦هـ/ ١٣٩٧هـ.
[65] عبد الحي عبد الكبير الكتاني، مصدر سابق، ج٢، ص ١١٦١ .

الدرقاوي والشيخ الزرقاني وغيرهم[66]،، وكان الشيخ محمد مرتضى الزبيدي قد اجتمع بالسقاط في منزل السيد علي المقدسي وأجازه السقاط شفاهة[67] وقد امتدحه الشيخ محمد مرتضى الزبيدي في الفية المسد فقال:

ومنهم المعروف بالسقاط ... محدث العصر بلا إفراط[68].

وممن درس على يد السقاط في مصر الشيخ عبد العليم بن محمد الفيومي[69]، والشيخ عبد الله الشرقاوي والشيخ أبو عبد الله الفرغلي السيد صاحب كتاب " الضوابط الجليلة في الأسانيد العلية في سنده عن شيخه السقاط".

٣ – الشيخ احمد الشرفي:

وهو الشيخ احمد بن محمد بن عبد السلام الشرفي المغربي الأصل المصري المولد له معرفة كبيرة بعلم الميقات، وكان من شدة حبه للعلم يدعوا العلماء إلى بيته في الأزبكية في المولد النبوي ويقدم لهم الموائد[70]. ومن مؤلفاته في علم الميقات " الدرر الفاخرات بربع المقنطرات في جميع الأقطار والجهات"[71]..

بالإضافة لما مارسه هؤلاء العلماء وغيرهم الكثير من أنشطة علمية وحصولهم على الأجازات وتأليفهم للكتب نجدهم يتبادلون الرسائل والفتاوى بينهم وبين العلماء المصريين.

فمثلاً حينما اختلف كل من عبد المؤمن بن عبد الحميد بن سليمان المخزومي والعلامة محمد بن محمد الكانمي وهما من أكبر علماء فزان وكلاهما رحل إلى مصر وتتلمذ على يد الزبيدي – في مسألة رؤية الله عز وجل سنة ١٢٠١هـ / ١٧٨٦ م واشتد النزاع بينهما احتكما إلى علماء الأزهر حيث أرسل سلطان فزان الشيخ عبد المؤمن المذكور إليهم ومعه صورة استفتاء من علماء فزان فأجابه السادة الأزهريون بفتوى مكتوبة ووقعوا عليها ووقع معهم الزبيدي[72]. ثم عاد إلى حاكم بلاده بالإجابة حيث أقره علماء الأزهر وعضدوا رأيه في هذه المسألة محل الخلاف[73].

وفي عام ١١٤٠ هـ / ١٧٢٧ م دارت مناظرات واسعة في الأزهر بين الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن زكري الفاسي وبين بعض رجال العلم الحنفية حول تحريم الدخان الأمر الذي كان وراء صدور مرسوم بمنع تناول الدخان في شوارع القاهرة وعلى أبواب الدكاكين[74] وهذا يعكس قوة النشاط العلمي للعلماء المغاربة في القضايا التي تخص المجتمع المحيط به .

كما أشار الجبرتي إلى الخلاف بين علماء الثغر السكندري وبين الشيخ إبراهيم المالكي الذي أقر في دروس الفقه أن ذبيحة أهل الكتاب في حكم الميتة لا يجوز أكلها وإنكار فقهاء الثغر لمعارضتهم له فقال أنا لم اذكر ذلك بفهمي وعلمي وإنما تلقيت ذلك عن الشيخ على المليجي المغربي، وانتهى الأمر بنفي الشيخ إبراهيم إلى بنغازي ولم يظهر منذ اختفائه[75].

---

[66] محمد خليل المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر الهجري، القاهرة ١٢٩١هـ، ج ٣، ص ٢٢٩

[67] عبد الرحمن الجبرتي، مصدر سابق.

[68] عبد الحي الكتاني، مصدر سابق، ج٢، مطبعة الطالعة الجديدة، ص ٣٤٩.

[69] محمد خليل المرادي، مصدر سابق ص ٣٢٩.

[70] عبد الرحمن الجبرتي، مصدر سابق، ج٢، ص ٨١٨.

[71] إسماعيل البغدادي، هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١ اسطنبول، ١٩٥١م ص ٢٣٩..

[72] عمار حجيدر، اتصال السند العلمي، تلامذة محمد مرتضى الزبيدي، ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠ م، ضمن أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات، ج ٢، مركز دراسة الجهاد الليبي، ليبيا ١٩٩٢م، ص ١٤١٣.

[73] محمد مسعود جبران، مظاهر الحركة الفكرية والأدبية في ليبيا، الرحلات العلمية وتوثيق السند العلمي في العصر الحديث، ضمن أبحاث المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا، زليطن، ١٩٨٨م، منشورات مركز الجهاد الليبي ١٩٩٢، ص ص ٢٢٧، ٢٢٨.

[74] حسام عبد المعطي، مرجع سابق، ص ١٩٧.

[75] عبد الرحمن الجبرتي، مصدر سابق، ج ٣ ص ١٠٢.

كما اهتم المغاربة بجمع الكتب ونسخ المخطوطات والبحث عن دقائق الكنوز العلمية واقتناء النادر منها، فمثلاً صاحب الرحلة الناصرية الشيخ ناصر الدرعي في رحلته الثانية ١٢١١هـ/ ١٧٩٦ م، عندما مر بمصر اشترى الكتب للانتفاع بها، والشيخ العارف بالله الصوفي الزاهد أحمد بن عبد الكتاني السوسي الذي عرف عنه عكوفه على مذاكرة العلوم.

ومطالعة الكتب الغريبة وجمع الكثير منها وكان يرسل في كل سنة قائمة بأسماء الكتب التي يرغب في اقتنائها إلى الشيخ السيد مرتضى فيشترى له الأخير مطلوبه منها[76].

كما امتد نشاط الكثيرين من العلماء المغاربة في القاهرة من التأليف والنسخ والاقتناء لمؤلفات الآخرين وحملها عند عودتهم لتكوين مكتبات في بلادهم ليستفيد منها تلاميذهم ، حيث نجد مكتبة الشيخ محمد احمد منيع المتوفى سنة ١٢٠٣هـ / ١٧٨٨ م وهو من علماء الجيل الغربي في ليبيا زاخرة بالمخطوطات وعنى الشيخ بنسخ العدد الكثير من محتوياتها بنفسه ، وهي تشمل على ثمان مائة مخطوطة إضافة إلى الكثير من كتب الفقه المالكي لعلماء الأزهر مثل شرح الخرشي على مختصر خليل وحاشية الدردير، بالإضافة إلى كتب الحديث والتفسير والآداب والمواعظ والمنطق وغيرها من العلوم وهي في معظمها لعلماء الأزهر[77].

كما زخرت دور الكتب المصرية بمؤلفات المغاربة خلال القرن الثامن عشر منها كتاب التذكار فيمن ملك طرابلس وما بها من أخبار " للشيخ ابن غلبون ومنه نسخة محفوظة بدار الكتب الوطنية تحت رقم تاريخ تيمور ٢١١٤ ميكروفيلم ٥٠٦٧٢ ، وغير ذلك ، وهناك الكثير من المؤلفات التي انتقلت إلى مكتبات مصر إما بإرسال أصحابها لأساتذتهم من علماء الأزهر أو حمل الطلاب والحجاج لها[78].

ومن خلال عرضنا السابق لروافد النشاط العلمي المغاربي في مصر خلال القرن الثامن عشر نخرج بنتيجة مفادها اتصال الحياة العلمية والعملية للثقافة العربية بين كلا القطرين وتأثير كل منهما على الآخر .

قائمة بالمصادر والمراجع العربية :

اولا الوثائق الغير منشورة بدار الوثائق القومية القاهرة

1- سجلات القسمة العسكرية، س 175/ س114/ س 176/س196/

2- سجلات اسكندرية الشرعية س37/س48/ س87/ س90

3- سجلات محكمة الجامع الحاكم س 743/ س746 /

4- سجلات محافظ الدشت س 312 / س 327

5- سجلات تقارير النظر س2 / س 7/ س9 س11

6- سجلات الباب العالي س212 /

ثانيا المصادر والمراجع

١ - شهاب الدين احمد النويري، نهاية الارب في فنون الأدب تحقيق، محمد أمين ومحمد حلمي، ج ٢٨، القاهرة ١٩٩٢ م،

2- عبد الرحيم عبد الرحمن، المغاربة في مصر في العصر العثماني، (1517 – 1798) مطبعة الاتحاد العام للشغل، تونس، 1982م،

[76] عبد الرحمن الجبرتي ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١٠٢ .

[77] عبد الحميد عبد الله الهرامة ، فصول من تاريخ ليبيا الثقافي ، أصالة للنشر والتوزيع ، بيروت ٢ ط ، ١٩٩٩ م ، ص ٣٢ .

[78] محمد مفتاح قريو ، ترجمة العلامة الشهيد ابن غلبون ، ضمن أعمال مؤتمر ابن غلبون ، مؤرخ ليبيا، مركز دراسة الجهاد الليبي ، ١٩٨٢ م، ص ٢٦ .

3 – الطاهر احمد الزاوي، أعلام ليبيا، ج1، طرابلس، ليبيا 1961م،

4 – عبد الله محمد عزباوي، المؤرخون والعلماء في مصر في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997 م،

5 – يونان لبيب ومحمد مزين، تاريخ العلاقات المصرية المغربية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام 1912، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، .

6 – توفيق الطويل، التصوف في مصر إبان العهد العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٨،

7 – سامح إبراهيم، العلاقات الثقافية بين مصر وطرابلس، الروزنامة، الحولية المصرية للوثائق، دار الكتب المصرية، العدد الثالث، ٢٠٠٥م، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٦ م،

8 – احمد شلبي عبد الغني، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء ابن شات الملقب بالتاريخ العيني، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٨،

9 – عوض عوض الأمام، مسجد الحاج إبراهيم تربانه بالإسكندرية، مجلة كلية الآداب بسوهاج، جامعة جنوب الوادي، العدد ١٥، ١٩٩٤م،

10 – محمد عبد الحفيظ، دور الجاليات الأجنبية والعربية في الحياة الفنية في مصر في القرنين الثامن والتاسع عشر – دراسة اثرية حضارية وثائقية، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠ م،

11 – أحمد عزت عبد الكريم تاريخ التعليم في عصر محمد علي ، القاهرة ، ١٩٣٨ ،

12– حسام محمد عبدالمعطي , العائلة والثروة البيوتات التجارية المغربية في مصر الهيئة العامة للكتاب 2008

13 – حسام محمد عبد المعطي، رواق المغاربة، مجلة الروزنامة، دار الكتب والوثائق، القاهرة، ٢٠٠٦،

14 – عبد الرحيم عبد الرحمن، وثائق عن دور المغاربة في مصر من خلال المحاكم الشرعية، المجلة التاريخية المغربية، العدد ١٠،

15 – عبد الحي عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، مطبعة الطالعة الجديدة، فاس ١٣٤٦هـ/ ١٣٩٧هـ.

16 – محمد مسعود جبران، محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا، مركز الجهاد الليبي – طرابلس، ليبيا، 1996م، 48.

17 – محمد خليل المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر الهجري، القاهرة ١٢٩١هـ، ج ٣،

18 – إسماعيل البغدادي، هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١ اسطنبول، ١٩٥١م

19 – عمار حجيدر، اتصال السند العلمي، تلامذة محمد مرتضى الزبيدي، ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠ م، ضمن أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات، ج ٢، مركز دراسة الجهاد الليبي، ليبيا ١٩٩٢م،

20 – محمد مسعود جبران، مظاهر الحركة الفكرية والأدبية في ليبيا، الرحلات العلمية وتوثيق السند العلمي في العصر الحديث، ضمن أبحاث المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا، زليطن، ١٩٨٨م، منشورات مركز الجهاد الليبي ١٩٩٢،

21 – عبد الحميد عبد الله الهرامة ، فصول من تاريخ ليبيا الثقافي ، أصالة للنشر والتوزيع ، بيروت ٢ ط ، ١٩٩٩ م ،

22 – محمد مفتاح قريو ، ترجمة العلامة الشهيد ابن غلبون ، ضمن أعمال مؤتمر ابن غلبون ، مؤرخ ليبيا، مركز دراسة الجهاد الليبي ، ١٩٨٢ م،

23 – عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ج٢ ، مطبوعات مكتبة مدبولي ، القاهرة ،

24 – ليلى عبد اللطيف ، المجتمع المصري في العصر العثماني ، ج١ دار الكتاب الجامعي، القاهرة ، ١٩٨٧ م.

25 – بدوي الجمل ، الزوايا في المجتمع العربي ، مجلة الضمير ، المجلد الأول العدد الأول (د.ت).

26 – إبراهيم محمد عثمان عبده، الجوهر المكنون في الرد على من ظن بالصوفية الظنون، ضمن أعمال ملتقى التصوف العالمي الإسلامي، طرابلس ١٩٩٥، مطبوعات جمعية الدعوة الإسلامية ج١، طرابلس – ليبيا ١٩٩٧،